(العدد الـ ١ توت سنة ١٦٤٤ ش السنة الـ ٣٤)

من صهيون تخرج الشريعة اش ٢ : ٣

صهيون

مجلة دينية علمية تاريخية

(صاحب امتيازها الأسقف ايسوذورس)

(قيمة الاشتراك عن سنة ٢٥ قرشاً صاغاً)

المراسلات لادارة صهيون بالدرب الابراهيمي بمصر

افتتاح سنة صهيون الرابعة والثلاثين

ايه أيتها السنة المنصرمة ما اكثر شرك وأغزر ضرك وأوفر قرك وحرك وأجزل لهبك وصرك وأتعس ناسك وأقعس أرياحك وأنفاسك لقد جررت علينا من بدء أمرك الحروب والكروب وأدخلتنا في ضيق المسالك والمهالك وأثرت علينا وطيس المعارك وقلبت لنا ظهور المجن وجلبت علينا الاحن والمحن وختمت أمورك وأسلت آخر نقطة من ثمالة وعكارة شرورك بذلك الصباح المشؤوم الذي توارت شمسه تحت طيات كثيفة من سحب الأحزان والأشجان اليوم الذي نعق فيه غراب البين بوفاة ذلك الرجل الكبير رجل الأمة المصرية المقدير

خسئت وتعست وبئس اسمك ويا شؤم شهورك وأيامك وساعات لياليك ونهارك ولو اولينا القدرة لاسقطناك من عداد السنين وأعفنا ذكرك كل حين فاذهبي الى حيث مزودة بالسخط والرذل واللعن ولتحل مكانك غيرك تنسينا بخيراتها شرورك يا مصدر كل شر وسبب كل قصر عمر يا بنت الدهر

في دفش . توجهنا الى هذه البلدة ونزلنا في ضيافة حضرة الوجيه تاودروس افندي الدفشي وضيافة ابن اخته دانيال افندي حنين فالسيدة مريم ارملة المرحوم مخائيل افندي الدفشي وحضرنا صلاة تقديس القرابين في كنيسة هذه البلدة التي على اسم البطل جاورجيوس يوم الأحد الموافق اول مسرى و ٧ اغسطس وبعد خروجنا من الصلاة بغتنا بوفاة سيدنا المثلث الرحمة البابا البطريرك الأنبا كيرلس فحل نبأ نعيه كصاعقة انقضت علينا والزمتنا الصمت برهة واختل نظام شعورنا وكان من عادتنا ان نتناول طعام الغداء ونأوي الى غرفة النوم ففعلنا ولكن عبثاً حاولنا ان نعالج سنة النوم اذ طار الكرى من مآقينا فلم تغمض لنا طرفة عين فكنا نتقلب على السرير ونتأوه تارة ونتحسر اخرى . ومرت امام مخيلتنا وذاكرتنا اسرع من برق خلب كل ادوار تصرفنا مع ذلك الراحل وعشرتنا واخلاصنا المتناهي له وذودنا عن مقامه السامي بغير اكتراث للاهانات التي كنا نصادفها في سبيل ذلك . وتذكرنا الجملة الذهبية التي فاه بها في منفاه في دير البرموس ونحن في ستر من عيون الراصدين الذين قال احدهم انه كان بودنا ان نعبث بمحيا القمص افرام لا غير والمعنى واضح اما جملة صاحب تلك الغبطة فهي : مناي الوحيد ان ينجو ولدي من كيد الأعداء الذين يضمرون له الشر : وقد منحه الله هذه النية اذ لم تصل الى ايدي اولئك القوم باذى فظللت في الخفاء مدة الى ان آنست منهم الضعف اذ همت الطائفة في كل مكان بطلب ابيها وراعيها وحضر مندوبوها الى القاهرة وجعلوا يعقدون الجمعيات تلو الجمعيات ويمطرون المقامات العالية من العرايض والاسترحامات حتى اضطرت ان تصدر أمرها برجوعه الى مقره البطريركي فرجع ودخل القاهرة بين اصوات تعج وترتفع وتملأ الجو صاعدة من افواه الالوف المحتشدة على قارعتي ممره تأذن بالترحيب بقدومه بينما كانت وجوه

الذين قاوموه منكسة على الأرض يعلوها الخجل والاستحياء

فعلى اثر شعوري بانحلال الحزب الذي عمل على ابعاد الراحل وجعل ينكل برجاله ويسومهم الأذى بكل نوع خرجت من مخبأي ولما علم غبطته بخروجي استدعاني فتوجهت اليه وكنت موضوع سلوانه ليل نهار في البقية الباقية من مدة منفاه

كان اخلاصي المتناهي للراحل الكريم جرأني عليه حتى اني كنت اعارضه في مشاريع كان يريد ان ينفذها وكنت انا اتصور انها غير صالحة وموجبة للانتقاد انتقاد اخصامه مثال ذلك انه في السنة التالية من منفاه توجه الى زيارة الاديرة الغربية الكائنة في وادي النطرون وكان قبل ذلك ببرهة وجيزة جال في خاطره ان يحذو حذو كنيسة الروم وبعض الكنائس الشرقية في رسامة اساقفة للاديرة ليذودوا عنها ويكونوا قوة معه عند لزوم الدفاع عنها ومقاومة من يحاول ويريد ان يسلب من ايديهم حق الاشراف على ارزاقها وادارتها فاستحسنت رأيه هذا وشجعته عليه ولكن ماذا قصد ان يبدأ بيا كورة هذا المشروع وهو حينذاك في دير البرموس وبرفقته سيادة الأنبا مرقس اسقف اسنا ؟ قصد أن يرسم القمص يوحنا الاسناوي رئيس دير السريان مطرانًا على تلك الأديرة ولما أبدى عزمه عارضته أشد المعارضة وتظاهرت بالتمرد والعصيان لاعتقادي (وربما وعلى الأرجح اني كنت مصيبًا فيه) ان القمص يوحنا المذكور لا يصلح لهذه الوظيفة وان رسامته موجبة لانتقاد الاخصام لعلمهم ان ميزان عقله مختل وقد حققت الحوادث ذلك الآن

وكان الأنبا مرقس المذكور يتظاهر لي بالود حينذاك فاخطرني بأن تصرفي هذا الأهوج مضر بحسن مستقبلي كان يقول لي ويردد هذا القول : ان مستقبلك

زي الطين يا ابن الكلب : وظهرت بوادر هذا النبأ حالا فان المرحوم تغير قلبه وشرع يلومني بقارص كلام التوبيخ من وقت لآخر على وقوفي في وجه غبطته ومعارضتى له وباطلا كنت اجتهد ان اصرف الكدر من قلبه بقولي اني أحسن النية في عملي الى ان استسلمت لرغبته أخيراً وقدمت له ذلك القمص ليرسمه اسقفاً على ابرشية السودان فطاب خاطره ورضي عني . ولم يستمر هذا الرضى زمناً طويلا لاني عصيت أمره حين رام أن يرسمني اسقفاً على كرسي أبو تيج وتواريت من أمامه الى ان توفق لرسامة القمص حنا المقاري باسم باسيليوس ذي الحادثة المروعة المشهورة المحزنة فكان كل مرة وأخرى يظهر الامتعاض من عدم النزول على ارادته والخضوع له أما أنا فكنت مرتاح البال والضمير من عملي لاني كنت أقصد به الخير لا غير وأتوخى خدمته ومصلحته ووقاره وشرف مقامه السامي في نظر الأمة وما أظن انه التحق بخدمته قبلي أو بعدي من أخلص له الخدمة مثلي وكان يشجعني على هذه الحرية رئيس ديري الغيور الفاضل القمص باخوم

ظننت على توالي الأيام اني ملكت شيئاً من السلطة وقسطاً كبيراً من الحرية تمكناني من خدمة طغمة الرهبنة فأسستها بمعاونة يوسف بك منقاريوس المرحوم صديقي الحميم مدرسة وأطلقت عليها اسم (مدرسة الأنبا كيرلس الخامس) على سبيل التبرك ولكن الدسائس اشتغلت حالا وعملت على تقويضها وفوق ذلك على طردي وتجريعي تلك الكأس المرة وتغيير خاطر الراحل علي وصب جامات غضبه على هامتي ما لم يجر نظيره في عالم التاريخ ولم تأت المساعي الهامة المشروعة التي اتخذت لاصلاح ذات البين بكل الفائدة المنشودة ووقفت عند هذا الحد وهو ازالة تعكير ضمير الراحل من نحوي بعد الزمن الطويل وتصريحه الشفوي بالحل والبركة لي وقد كنت أتوقع اكثر من ذلك وكان الراحل يتوقع له الفرص المناسبة وكان الصلح

التام في هذه السنة أقرب من قاب قوسين كما شهد لي بعض الاعيان الذين كانوا لهم أخذ وعطاء مع رجال حاشيته وأقرب قريب اليه . ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه . تجري الرياح بغير ما تشتهي السفن

أما تلك الكأس فقد وضعت في سايلها العلقمي مادة غيرت طعمه وجعلته حلو في حنك متجرعه ويلذ وضعها الذين خبروا أطوار الذي أرغم على ان يحتسي ما في تلك الكأس من المرارة من وقوفه فى جانبهم ودفاعه القيم عن مذهبهم وكيان كنيستهم لذلك أجلوه لذلك عظموا قدره لذلك أنسوه كآبته لذلك كفكفوا دموعه ومسحوا عينيه اللتين كانتا تذرفان الدماء بدل الدموع ونشفوها بمناديل تحياتهم واسعافاتهم وفتح مغالق قلوبهم فى وجه صاحبهما لأن الله لا ينسى الخدمة وخادمها ولا يدع الناس تنساهما أيضاً

كان الراحل الكريم يحسن الظن جداً بمن يوليه ادارة وكم كان هـذا الظن الحسن يأتي بالضرر ومن أمثلة ذلك انه ولى شؤون الصرف على مطبخ البطريركخانة لراهب من دير السريان يدعى القمص غبريال القشني فأساء التصرف وعبثاً كنت ألفت نظر غبطته الى ذلك اذ كان يحمل احتجاجي على الغيرة والحسد لا غير وساق المذكور سوء التصرف الى سوء المصير أخيراً . وفعل حسن ثقة الراحل بكثيرين سواه واعتماده على أمانة المديرين والرؤساء والقابضين على أزمة الادارة المالية هو لا غيره الذي جر عليه المتاعب وفتح آذان الشعب للمطالبة بحق الاشراف على تصرفات المذكورين . وما هكذا كان رأيي الذين وقفوا بجانبه في حركة سنة ٩٢ ولو فعل بحسب مشورتهم الممحصة لكمت الأفواه وخرست الألسن وعم النظام وحسن الترتيب وسارت الأمور على أحسن حال وأفضل منال وارتقى الرهبان الى مستوى الكمال . والنهاية اننا نشيع الراحل

بقلوب مكلومة وصدور مفجوعة ودموع منهمرة وأنات وزفرات وتأوهات وتنهدات ففي ذمة الله ارقد أيها الراحل الكريم وفى رحمته الواسعة وفيض غفرانه وعفوه وسماحه وسخاء كرمه واحسانه وفضل جوده اضطجع ونم واسترح من عناء جهادك وتعبك ووصبك وأوجاع نفسك وجسمك وانس الشتم والسب اللذين كان يكيلهما لك صاحب مصر وجرجس فلتاوس وسرجيوس ورؤساء جمعيات الاصلاح الكاذب من وقت لآخر واطلب لهم من عرش النعمة والجالس عليه الذي صرت قريباً منه الآن الوعي والرشد والحكمة والرزانة ليشعروا بذنوبهم التي اقترفوها بحقك وحق أنصارك ويتوبوا ويقلعوا عنها ويعرفوا أنهم يعيشون في خدعة وغرور العالم الباطلة وانه عما قريب سيغشاهم اليوم الاسود والساعة المظلمة المكفهرة ويقف أمامهم هادم اللذات الذي لا مناص منه ولا مفر ولا خلاص الذي سيسحب أرواحهم من أجسامهم ويتركها رمماً هامدة بلا حراك ولا حس ولا شعور وفي ذلك اليوم تبطل كل أفكارهم وهواجسهم (وهجصهم) وقحتهم وقلة حيائهم ...

وفي النفس هواجس ومخاوف وآمال بين أن يكون من يشغل مركز الراحل على التوقيت أو الاستمرار حكيماً رزيناً فطناً مفرزاً مدبراً حسناً يضع كل شيء في مكان يليق له صفوحاً طويل الاناة كريم الخلق رحيماً متساهلا متغاضياً ذا عفاف ونسك ذا وداعة ومسكنة وتواضع ذا انسحاق روح فعلي لا تصنعي . واضعاً نصب عينيه قرب الموت لا طول الحياة متصوراً على الدوام ان مجد العالم يزول وشيكا وتنحل السيادة والعظمة وتبطل السلطة ويتساوى في الآخر في الموت الذي يعم الجميع الذي يتناول الجالس على حصير الأرض والراقد على سرير الملك الوضيع مع الرفيع والعبد مع السيد والخادم مع المخدوم والمملوك مع الملوك والمقير

مع المثري ويضم كلا الفريقين الى مكان واحد ولا يمتاز أحدهما ويتفوق عن الآخر الا بالاعمال البارة الصالحة وعمل الخير ورفع المظالم عن المظلومين واغاثة الملهوفين واسعاف الايامى والايتام والأرامل وعابري السبيل . هي الديانة الطاهرة المقبولة عند الله افتقاد الأرامل في ضيقاتهن وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم . بين أن يكون من يشغل موكز الراحل متحلياً بهذه الصفات مزداناً بهذه الصفات والزينات أو يكون على عكسها أو يكون لا سمح الله غشوماً فظاً ظالماً خشناً صلباً متكبراً متغطرساً جشعاً بشعاً . حقوداً حسوداً شتاماً منتقماً لا يعرف طريق السلام ولا يكلف نفسه للسعي وراءه . أو يكون نظير الوكيل الغبي الذي ضرب به السيد المثل وقال عنه ان موكله سلم اليه تدبير شؤون بيته وترك في يده سلطان الصرف على عبيده وسافر الى كورة بعيدة فأساء التصرف مع عبيده وحبس عنهم مؤونة الأكل والشرب ولظنه الفاسد بأن سيده سيبطيء قدومه اندفع يأكل ويشرب ويسكر ويبطر ويلهو غير متصور ان سيده سيقدم عليه على حين غرة وعلى غفلة ويناقشه الحساب والعقاب ويشقه الى شطرين ويجعل نصيبه مع الأشرار وبئس المصير وبئس القرار اجعل أيها المولى الجديد خارطة الموت نصب عينيك وتصور الطريق المؤدية الى الراحة الى المجد والسعادة والطريق الأخرى التي تفضي بك الى الشركة مع الشياطين في عذاب نيرانهم فعسى ان المولى الكريم يدفع هواجسنا وأراجيفنا ويرفع مخاوفنا ويبعد أوهامنا ويقضي رغبنا ويحقق آمالنا اللذيذة ويتمم رغباتنا وأحلامنا العزيزة انه قدير وبالاجابة جدير حتى اذا ما تأكدت الرغبات وتحققت الأحلام تنطلق الألسنة بالرغم عن ذويها قائلة (ان هذا خير خلف لخير سلف) اللهم آمين ولا أرضى بواحدة حتى أقول ألف آمين

أما اليكم يا جميع عابري الطريق — تطلعوا وانظروا ان كان حزن مثل حزني الذي صنع بي (مرا ١ : ١٢) .

انتقال صاحب الغبطة الأب الطوباوي المثلث الرحمة
الأنبا كيرلس الخامس المائة والثاني عشر بطريرك الكرازة المرقسية
والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية الى الدار الباقية

كانت الساعة الخامسة وربع من صباح يوم الأحد أول مسري سنة ١٦٤٣ ختام حياة أكبر رئيس ديني ارثوذكسي بعد ان قضى أيام رياسته الطويلة الحافلة بجلائل الخدم وأعظم الأعمال فقد كانت حياته في الرياسة أطول حياة بطريرك من بدء الكرسي المرقسي لهذا اليوم ومن تتبعها ملأ بها أكبر المجلدات اذ لا يخلو يوم من أيامه من عمل عظيم يخلد له ذكرى مجيدة يذكرها الكل فيرددون عبارات الأسف والحزن ويسألون المولى ان يعم الجميع ببركاته

بدء حياته

لا يمكن المدقق أن يؤكد تاريخ ميلاد الراحل الكريم وقد تضاربت الأقوال . واكثر المؤرخين يقول بميلاده سنة ١٨٢٢ في بلدة تزمنت المجاورة لبني سويف ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ذهب الى قرية كفر الصعيدي بمركز منيا القمح مع ذوي قرباه حيث تلقى العلوم الأولية ومبادىء اللغة القبطية ورسم شماساً وأظهر ميلا للعيشة الدينية وزادت رغبته في التقشف فذهب الى دير السريان وبعد ان أقام فيه أياماً استعاده أهله وذووه ولكنه توجه الى دير البراموس حيث ترهب ونيم قساً في سنة ١٨٥١ فقمصاً سنة ١٨٦٢ وقضى وقته بالدير عاملا مجداً

ولم يقف اشتغاله بالاطلاع والدرس ونسخ الكتب المفيدة عائقاً له عن القيام بمهمة زائدة لملاحظة شؤون الدير فاستمر مصلحاً الخلل عاملا للتعمير حتى اختير مدبراً لرهبان الدير وبعد انقضى وقتاً ظهرت فيه مقدرته ووداعته أراد أن يستعين به صاحب الغبطة البطريرك الأسبق فاستمر عاملا بالبطريركية الى ان استعاده الآباء الى الدير حتى لا يحرموا من همته العالية وعزيمته الصادقة

اختيار الراحل الكريم للكرسي البطريركي

انتقل المتنيح الأنبا ديمتريوس البطريرك الأسبق لجوار ربه واستمر كرسي البطريركية خالياً حوالي الخمس سنوات وفي هذه الاثناء اجتمع أعيان الطائفة واكابرهم مشتركين مع الآباء المطارنة ووقع اختيارهم على ثلاثة فاز منهم بتفوق الأصوات الراحل الكريم ولما استقر الرأي على رسامته خرج مهللا مكبراً رئيس حزبه المرحوم ابرهيم بك روفائيل الطوخي وهو يقول انتصرنا . انتصرنا . فتمت رسامته يوم الأحد ٢٣ بابه سنة ١٥٩٠ الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٨٧٤ وكان الاحتفال برسامته بالغاً حد الهيبة والجلال حضره الامراء والوزراء وكبار رجال الحكومة ودعي الأنبا كيرلس الخامس واغتبط الشعب براعيه العظيم واعتقدوا ان اختياره من الله تعالى .

أشواك بين السوسن

ثاني يوم رسامته احتال عليه بعض ذوي الغايات ولحسن نيته انطلت عليه حيلتهم ووقع على اللائحة الملية وقد تحدث معه لائماً في هذا الشأن المتنيح الايغومانس تادرس مينا كما ذكر ذلك لعظيم حي يرزق للآن وليس كما يدعي صاحب مصر لغرض في نفسه واستمر بعد ذلك يتحين الفرصة لتحقيق آماله

ورغائبه علة تجد في من يدعون الاصلاح من يصلح لادارة الاعمال فكان حين يسلمهم من حين لآخر أعمالا لادارتها يجدهم يسيئون التصرف فيها وظهر له ما لم يكن في حسبانه من سوء الادارة وعدم الاخلاص وفي عهد ليس بعيداً توفرت كمية من المال لدى البطريركية فأراد أحد أعيان الطائفة أن يبيع للمجلس الملي أطياناً بوراً لا تصلح للزراعة كان اشتراها بثمن بخس ورغب أن يبيع هذه الصفقة الخاسرة بثمن باهظ للبطريركية وبعد ان وافق المجلس على الشراء عارض غبطته في قبوله حفظاً لمال الوقف والتزم ان ينفذ العهود التي قطعها على نفسه أمام الله في ملاحظة الاحوال والاموال بنفسه وقد كان يتمنى في حياته الطويلة أمنية يعتبرها في المقام الأول من أمانيه وهي ان الاله يتمه برؤية أفراد شعبه مملوءين بالغيرة الروحية عاملين على الاصلاح الحقيقي ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه فقد أدركته منيته وبالطائفة نفر ليس بالقليل على جانب وفير من الغيرة الكاذبة واخلاصهم بالفم لا بالقلب .

اهتمامه بشؤون الآباء الرهبان

ان انتقاءه لرئاسة الأديرة رؤساء عظماء مختبرين لم يكن ليوقف عزيمته عن الاهتمام بشؤون الرهبان فقد أوصى بانشاء المدارس وتنظيم أحوالها حتى حسنت حالتهم وبمشورته أوفد نيافة الأب الأقدس الأنبا يؤنس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة ثلاثة من الآباء الرهبان ليتهذبوا في العلوم اللاهوتية في مدرسة اثينا وعند ما حضروا توفي بعضهم وارتقى بعضهم الآخر الدرجات السامية الدينية فكان على الدوام عاملا على راحة الآباء الرهبان مهتماً بما يصله من الشكاوي البسيطة فاضاً جميع المشاكل بطول أناة وعند ما وصله خبر اساءة القمص اندراوس

المصري رئيس دير الأنبا بشوى الأسبق وأخيه القمص حنا المصري للقمص عبد المسيح المحلاوي (نيافة الأنبا مكاريوس مطران اسيوط الآن) أشار على القمص عبد المسيح المسعودي أب رهبان دير البرموس أن ينقله الى ديره ثم استدعاه للبطريركخانة بصفة تلميذ له فبقي كذلك لحين انتخابه لمطرانية اسيوط ولم يزل غبطته مواليًا السؤال في كل فرصة مناسبة عن حالة الآباء الرهبان في كل دير وفي عهده بعد ان كانت أطيان كل دير لا تتجاوز العشرات وكلهم يعملون بأيديهم لأجل القوت زادت الأملاك والأطيان الى ان صارت نحو خمسة آلاف وخمس مائة فدانًا حسب تقرير مذكرة المجمع المقدس وصار الآباء ميسوراً لهم التفرغ للنسك والعلم

الراعي الصالح

تفقد غبطته أبناءه ببلاد الوجهين البحري والقبلي والسودان مرات مما زاد تعلق رعيته به ومن أعماق قلوبهم كانوا يهتفون له بطول أيام رعويته المباركة ولشدة تعلقهم به كانوا عند وداعه بالمحطات يكادون يطيرون مع القطار مشياً على الأقدام وقد كان بكل بلدة يمر بها يعمل على رفع لواء العلم والدين ومساعدة اليتيم والفقير منشئًا المدارس معمراً الكنائس ويمد أغلب الآباء المطارنة بالمساعدة المادية سراً ا وقد كان اهتمامه بمطرانية الأحباش عظيماً وساعد مساعدة عظيمة لانماء الحالة العلمية هناك وقد كانت غيرته القلبية وأشواقه الروحية نحو تلك الاقطار النائية عظيمة جداً . وقد حارب العادات الذميمة بكل ما أوتي من غيرة ومنشوراته الممهورة باسمه الكريم تدل على عظيم سهره على تقدم الطائفة دينيًا وأدبيًا وقد قاوم البدع والخرافات مشدداً على عموم الآباء الكهنة والوعاظ الاهتمام بمحاربتها وقد

سر بأن رأى نجاح أغلب هذه المشروعات . وقد كان عموم المصريين يعتقدون فيه الصلاح والقداسة فأطاعوه وقدسوا كلمته وكانوا يقصدونه للتبرك ويؤمنون بمقدرته الفائقة وسلطانه على شفاء الأمراض فكان المرضى منهم يحضرون له الماء ليصلي عليه وعندما يشربونه يشفون ولا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي

أعمال الراحل الكريم

يعجز القلم لو حاول ان يصف ما قام به الراحل الكريم من الأعمال الجليلة والخدم العظيمة التي توج بها هامة الطائفة لأن خدماته الدينية والأدبية والوطنية تدل دلالة واضحة على ما خصه الاله من الذكاء الفطري والمواهب الطبيعية التي ساعدته على القيام بمطاليب ومهام الطائفة . ورأى بثاقب فكره ان اصلاح الجسم لا يكون الا باصلاح الرأس فانشأ المدرسة الاكليريكية لتخريج رجال الكهنوت المتعلمين من قسوس وشمامسة فبعد ان كنت لا تجد ما يزيد عن أصابع اليد من يمكنه القيام بشؤون الوعظ والارشاد صاروا الآن يعدون بالمئات وأبناء الطائفة الذين كانوا يعدون التغرب في طلب العلم نقيصة لذلك كان النابغون فيها نفراً قليلا وصاروا الآن بفضل انشائه المدارس وتشويقه وتشويق اعوانه الآباء لعموم الشعب في مقدمة الطوائف سعياً للعلم والأدب فصار فيهم الوزير الخبير والمشير القدير والقاضي العادل والمحامي النابه . وتعضيده للأعمال ومساعدته للأرملة واليتيم لا ينكرها ذو عينين . وكان مملوءاً بالغيرة على حفظ كيان الطائفة من الوجهتين الدينية والوطنية ومراراً كثيرة قصد بعض من كبار الأجانب استخدام مركزهم السياسي للتأثير عليه للانضمام تحت أمة أو مذهب آخر وله وقائع مشهورة في السياسة معروفة في هذا الخصوص يتداولها الجميع كحكم غالية وجواهر ثمينة وموقفه المشرف للطائفة في

سنة ١٩١٩ قد رفع رأس الأقباط أمام مواطنيهم حتى أعلن الجميع ارتياحهم لخطته الحكيمة الثابتة وعدم تقلبه مع رياح السياسة

الجمعيات الاصلاحية

مع اهتمام غبطته بشؤون الاصلاح والتقدم شرع في منابذته أفراد لا تعلم غرضهم الحقيقي ولو كنت منجماً وتمكنوا من بث روح المقاومة في الجمعيات حتى تغيرت مبادئها والتي كان غرضها تربية الفقير والتي غايتها رفع لواء العلم والاهتمام بالدين والأدب صارت تقول عن نفسها انها اصلاحية واعتقد ذووها ان رجال الاكليروس عموماً مقاومون للاصلاح فقاوموهم واحتسبوا حسناتهم سيئات ونورهم ظلاماً حتى تمكن الخصام منهم وتداخلت الحكومة في أمر الخلاف لأنه قد ازداد سوء التفاهم وبمساعي المرحوم بطرس باشا غالي وأعوانه أصدرت الأمر بنفيه الى دير البرموس في الجبل الغربي سنة ١٨٩٢ واستمر حوالي الستة شهور منفياً وعاد بأمر خديوي وعلى أثر عودته انحل المجلس الملي وانتخب بدله أربعة من أعيان الطائفة لادارة الشؤون الملية وتجدد انتخاب المجلس سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٢ وفق رغبته في هذه الأدوار جميعها الى ان تقدم اقتراح لمجلس الشيوخ وأقره مجلس النواب في السنة الحالية وكان الاقتراح المقدم لأجل العمل بلائحة سنة ١٨٨٣ مبتوراً من المادة الخاصة بأوقاف الأديرة الجزء المتضمن حفظ ما يتبقى من ايراد كل دير في خزينته حسب شرط الواقف ولكن دولة رئيس مجلس النواب ثبت هذه الجملة المحذوفة وأقرها — وكان الراحل في هذا الدور الأخير غير مرتاح لتنفيذ هذا القرار وتمنى لو كان بصحته وحال دون تنفيذه ولو بالنفي كالمرة الأولى وكأن ذلك كان نبوة على انه لن يسري هذا القانون في حياته وفعلا تصادف

وصول التصديق على القرار بعد انتقاله بساعات قليلة .

هذا ما عن لنا أن نسطره على وجه الاختصار عن حياة هذا الأب البار ليكون لنا منه بركة وفائدة نفعنا الاله ببركاته ونيح نفسه الطاهرة في فردوس النعيم ؟

القمص حنا غبريال
وكيل شريعة الاقباط
ببني مزار

حزن مزدوج بل مثلث

بينما كنا نكتب كلمات الرثاء نودع بها ذلك الراحل الكريم المثلث الرحمة والغبطة بطريركنا المفضال ونرفقها بدموعنا وعبراتنا وحسراتنا ولوعاتنا ولم ننته منها حتى طير الينا خبر نعي المرحوم مرقس بك حنا عمدة نزلة الفلاحين فوقع هذا النبأ في سمعنا موقعاً مدهشاً لأن المرحوم تركناه منذ اسبوع في صحة تامة يحسد عليها فأسفنا جداً لفقده لأنه كان أصدق صديق لنا وطالما اجتمعنا به في مصر وفي بلده وكانت تحلو له عشرتنا . وكان يود من صميم الفؤاد أن يرى صلحنا وقد سعى اليه ووسط له سعادة قليني باشا فهمي فأسمعه أعذاراً يخجل أن يتفوه بها ذو نظر رددها له من أفواه القوم الذين خاطبهم سعادته بشأن الصلح سامحهم الله وغفر لهم ذنبهم .

على أثر وصول النبأ بهذه الفاجعة عدنا الى نزلة الفلاحين حيث قدمنا فروض التعزية لنجلي الفقيد وهما كامل بك وزاكى بك ونجلي أخيه لبيب بك برسوم وابرهيم افندي وعموم أفراد اسرة عبد الشهيد ثم عدنا الى بني مزار حيث فوجئنا أيضاً بنعي المرحوم فرح افنـدي جرجس الشماس والخطيب واستاذ المدرسة

الاكليريكية الديني فأسفنا لفقده لأنه كان يتحبب لنا ويزورنا كثيراً فأرسلنا لشقيقه مينا افندي جرجس باشكاتب البطريكخانة رسالة تعزية برقية فلتغمره رحمة الله الواسعة وليعز الروح المعزى حضرة الشقيق وحضرات آلـ...

في مغاغه. توجهنا الى هذا البندر وانطلقنا الى عزبة السيدة المصونة ... شفيقه سوريال الكائنة على ساحل البحر اليوسفي تحيط بها الحدائق والرياض وفي مناخ طلق الهواء جعلته هذه السيدة مصيفها ومصيف كريماتها وأنجالهن. فتلقتنا حسب كرم أخلاقها على السعة والرحب واكرمت مع قرينها الفاضل الخواجه ناشد الياس أحد أعيان بندر اسيوط ونجله النجيب ايليا افندي أحد طلبة الجامعة ضيافتنا بكل اعزاز واكرام

ومما استغربنا له في هذه الجهة وقوفنا في الجرائد على الانقسام المشؤوم الذي حل في الكنيسة القبطية على أثر رقاد المثلث السعادة البطريرك اذ انشطرت الى قسمين في ترشيح من يتوكل عنه في كرسيه في مدة خلوه ممن يرقاه اذ ذهب قسم الى ترشيح نيافة الأنبا يوانس وليته وقف عند حد التصويت له بل تجاوزه وانساب يملأ الجو والفراغ صياحاً وصخباً وشتماً وسباً وتجريحاً بحق مرشح خصمه نيافة مطران اسيوط وأول مقالة عثرنا عليها من هذا القبيل في جريدة الاهرام وتجاوزه في القحة القسم الثاني وجعل يغضب ويصخب ويشتم ويظلم ويضغط ويسخط على مرشح خصمه وهو نيافة مطران اسكندرية وقد وقفنا على شيء كثير من هذا القبيل خصوصاً في جريدة مصر الخادمة الأمينة المخلصة الوفية في خدمتها للكنيسة القبطية الارثوذكسية !!! التي تسجل في صفحاتها بالقلم العريض والخط الثلث اسم (القمص سرجيوس) الذي ينكر عليه عموم رؤساء الاكليروس هذا اللقب وهذا الوصف وفي الوقت نفسه تمتهن مطران القدس وتدعوه المطران المزيف

وتحقر صاحب هذه المجلة وتنكر عليه صفاته الدينية مع علمها ان عموم الاكليروس ورؤساءهم اذا استثنينا بعضهم يعترفون له بها فضلا عن الجمعيات في مصر والجهات وفي مقدمتهن الجمعية العظمى الخيرية في مصر هكذا يخاطبه الاكليروس وكبار الاكليروس (الاسقف ايسوذورس) وهكذا تخاطبه الجمعيات (الاسقف ايسوذورس) احذف منها جمعية الاخلاص عدوة الكنيسة في اسكندرية

ماذا فعلت جريدة مصر بالخطاب الذي أرسلته لها منتقداً به حضرة الدكتور ناصيف لامتعاضي من الصاقه تهمة بحق نيافة الأنبا يوانس ولماذا أهملت درجه ؟ لعلها كانت تنتظر مني مقالة منقوعة بالسم الزعاف ومكتوبة حروفها من نار تحرق ذلك المطران لتصورها انه عدو لي واني عدو له وقد غرب عن فكرها اننا اذا اختلفنا في أمور فنحن على وفق تام في أمور أخرى فهو كما أنا في الدفاع عن كيان الكنيسة . أو لعلها تظن ان نيافة مطران اسيوط أيضاً يروق لسمعه ويحلو لذوقه أن يسمع أو يرى الشتم والسخط والتجريح والتعريض بحق زميله نيافة الأنبا يوانس اذا ظنت ذلك فقد طاش سهم ظنها . قد اجتمعت به وعرفت أمياله ورأيته في أشد الحزن مما جرى في الكنائس من يسقط زيد ويحيا عمرو وكذلك من المقالات المشوهة لصيت وسمعة زميله . وقد قلت له ان جناب القمص ابرهيم لوقا قال لي زيد من المطارنة عنه وقال لي عمرو من القمامصة أيضاً انه نشر نبذة باسمه بعنوان (الى النجدة) فأبدى من الاستغراب الشيء الكثير وقال قد نبهت عليه بعدم الكتابة وقلت له ان ليس من مبدئي ولا من مذهبي ولا حسب أميالي تحقير اخوتي وزملائي

وقد سألني البعض عن رأيي في الأحوال الحاضرة وطلب الي ان أعلنه على رؤوس الملا فأجبت ان الكلام الذي لا يسمع يوجب الحسرة لقائله فاذا كان حزب

هذا مشدداً في طلبه وفي الحصول على مرامه وبالمثل حزب ذاك فلا فائدة من توجيه كلامي لاحدهما وانما يفيد الكلام لمطرانه وما عندي من الكلام له ان كان محباً لكنيسته ووحدتها وعدم تمزيقها وعدم سخرية وضحك المسلم واليهودي والدرزي والبربري والصيني والياباني لا أقول الطوائف المسيحية التي يجب عليها أن تحزن لحزننا وتفرح لفرحنا نعم ما عندي من الكلام الا هذا وهو (فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً) والكلام الذي قبل هذه الآية (لا تنظروا كل واحد الى ما هو لنفسه بل كل واحد الى ما لآخرين أيضاً (في ٢ : ٥ و ٤) وقوله (مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة (رو ١٢ : ١٠)

بهذا المعنى خاطب البابا ديوناسيوس الاسكندري أحد الاسقفين الذين تكالبا على كاثدرا رومة قائلا له : من أجل خير الكنيسة ووحدة الكنيسة ومصلحة الكنيسة ان كانت مصلحتها تعنيك تنزل عن اسقفيتك لمزاحمك : وبهذا الروح أرفع صوتي الى كليكما أيها المطرانان الجليلان أن تراعيا قبل كل شيء المصلحة العامة وتضحيا الروح منكما والميل والغرض والهوى والشهوة والعظمة في سبيل هذه المصلحة لأن الانقسام الحاصل الآن سيدوم ان ترجحت كفة أحدكما عن الآخر وفاز وانتصر على مزاحمه . واعلم ان الذي يتخلى منكما قبل الآخر هو الذي يكسب رضى الله ورضى شعبه هو الذي ينظر اليه بعين الوقار والاعتبار وهو الذي يحرز قصب السبق ويكسب القضية وينال المجد والفخر ويكبر ويعظم ويصح أن يدعى مطران المطارنة وسيد القوم أجمع لأن عظمة المسيحية انما تقوم بانكار الذات والمسكنة والاتضاع وبأن يعد الانسان نفسه أصغر الكل ودون الكل وأسفل الكل وعلى حسب المثال السائر على أفواه عموم الناس ولا بأس (ان كبير القوم خادمهم) وهو لعمري مبني على قواعد الانجيل وتعليم الانجيل

لا تظن يا هذا المطران ويا ذاك المطران مع حفظ لقب كل منكما الجليل ان الفريق الذي يصوت لسيادتك يصوت عن حب واخلاص وانه يتوخى بتصويته لك مجد الله وخير الكنيسة ان ادعى ذلك وتظاهر بمثل ذلك فاني اكذبه في وجهه واقول له انك كذاب.وستين مرة اقول له كذاب فاني اعرف نفسية افراد كل فريق منهما وفي وسعي ان احلل هذه النفسية نفسية الكبير من الاكليروس ونفسية الكبير من الشعب ونفسيات باقي الافراد من كلا الفريقين معلومة لاحاجة الى تحليلها. وحذار ان تكذبني ايها القاريء وتقول لي انك مغال في هذا الوصف وانك تسرد جملا غير منسجمة كما وصف كتابتي احد الكتبة البارعين !!! وتلقى الكلام على عواهنه على غير معنى . لا . لا تقل لي ذلك فاني لست غريباً عن اورشليم ولا بعيداً عن رعوية اسرائيل بل أنا . أنا محتك بكل واحد من الموصوفين ومختبر بعد هذا الزمن الطويل أطوار وعقلية وداخلية كل واحد من المذكورين فان كذبتني فانت ظالم لي ولا شك. في الزمان السالف كنت أقول عن زيد من الشعب أو من الاكليروس لمن يعارضني في قولي . أنا مرب وأنت شار : والذي يربي يعرف اكثر من الشاري . تكذبني وتظلمني وأنت تسمع أو أنا اسمع زيداً من الاكليروس يقول بملء شدقيه : جحيم هذا المطران ولا جنة ذاك المطران : فماذا تفهم من هذا القول ؟ وبأية أوصاف تصف نفسية هذا القائل أليس ان الذي دفعه الى هذا القول القلب الملتهب بالنار نار الكراهة والبغضة والحسد والمقت لا غير؟ أمن مثل هذا نرجو الخير للكنيسة والمصلحة للديانة . اتق الله يا رجل .

هذا فريق يصوت لهذا المطران لأنه يكره ذاك المطران وقد تكون الكراهة مبنية على غير سبب أو صادرة عن سوء تفاهم . والفريق الثاني يصوت من باب

الخوف البعض ومن طريق الرياء والنفاق والملق البعض الآخر ومن سبيل الأمل الكاذب البعض الثالث وليس شيء من هذه الطرق تسوغه وتأمر به أو تشير اليه من طريق التسامح كتب الله المقدسة . فالمسألة خرجت عن حدود الدين ودخلت في أمور عالمية بحتة

طيب يا حضرة المصوت أنت حر في كونك تكفر بهذا المطران حتى في كونك تكفر برب هذا المطران أنت حر لأن كل واحد معاق من عرقوبه وكل واحد دينونته على نفسه فهل انت حر أيضاً في كونك تشنع في حقه ؟ (حرشف وسوء كيلة) لا منك ولا كفى شرك أو هل تظن ان تشنيعك في حق هذا المطران يلذ اسمع مختارك المطران الآخر ؟ ان ظننت ذلك فانت غبي وجاهل وعلى فرض أن يكون لظنك من محل فقد سقط اختيارك لمطرانك لان شريك الشتام شتام والشتام لا يرث ملكوت الله وبالاولى لا يرث شبه ملكوت الله وهو التوكيل البطريركي وعليه فلا يكون هذا صالحاً ولا ذاك صالحاً لكرسي التوكيل

جرستمونا يا شتامين وهتكتمونا وأحزنتم قلبنا الله لا يحزن قلوبكم وصيرتمونا مضغة في أفواه عموم الناس وشماتة وضحكة وسخرية في نظر أعدائنا . ارحمونا الله يرحمكم وكفوا ألسنتكم عنا يا مرائين يا منافقين يا مماذقين يا أعداء الدين يا عديمي الشرف والانسانية واسكتوا عنا ولو برهة لنعرف كيف نضمد جروحنا ونعصب كلومنا تنحوا عنا قليلا وافسحوا الطريق للدكاترة الذين اتقنوا دروس التطبيب والمعالجة ليجتمعوا بنا ومعنا فندعهم يصفون العقاقير لهذه الجروح البليغة لهذه الخروق الواسعة لهذه البثور والدمامل والامراض العضالة القتالة لانهم خالون من الاغراض والاعراض لانهم أتقياء في سيرتهم وسريرتهم لانه يهمهم مصلحة المجموع لا الافراد وعليه فماذا يقول هؤلاء المحنكون المجربون اذا اجتمعنا بهم؟ كلهم

سيجيب بفم واحد ولسان واحد ويجمع على رأي ممحص واحد وهو وجوب تخلي كل من ذينك المطرانين المبجلين عن هذه الرياسة الوهمية والسيادة الصورية طبعاً ستكون مع المجلس ولايحته المزمعين وهمية لا شك فيها وسيقول لسان صاحبها (كبر الجرن ولا شماتة الاعداء) والجرن خال من الغلة وكله تبن واوار وغبار والذي سيقول ذلك لا يكون حكيماً في نظر الكتاب وأهل الكتاب

هذا هو الدواء النافع الناجع هذا هو العلاج المنقي للاخلاط اخلاط جسم الطائفة هذا هو الشراب المقوي للاعصاب والمسكن لسورة الدم وغليان القلب والمبرد لظماء الكبد والمنظم للدورة الدموية في خيوط الجسم في شريانه وأوردته. هذا الشراب وان يمج في ذوق البعض فانه حلو في طعم الكل فعليه التعويل وبه الاعتماد وهو خير ما وصف الواصفون

أنا متأكد ان مذاق هذا السائل سيحلو قبل كل أحد في حنك صاحبي النيافة المطرانين المرشحين وأولها نيافة الانبا يوانس لانه يعلم والناس تعلم والله يعلم انه كبير بالوكالة وبغير الوكالة فلا تزيده الوكالة كبراً انه كبير فيها وبلاها بالرغم عن أنف الناصبين والذي سيشغل الوكالة من ربيبيه وأحد بنيه لا يحرك ساكناً بلاه ولا يبت أمراً دون وحيه ورؤياه فيكون هذا وكيلا بالاسم والرسم وذاك وكيلا بالقول والفعل والجسم. وليس نيافة مطران اسيوط دون زملائه فان لم يتفوق عنهم فيساويهم وان تفوق أحدهم عنه بالسعة والمال فيقل عنه بأمور أخرى وهو لا ينكر على نيافة الانبا يوانس وقاره وحرمته وكرامته وليس في قلبه من نحوه شيء يؤاخذ عليه وهو غير مزاحم له على وكالة أو سواها وانما هو قد وجد في مركز لا يستطيع غيره أن يعالج العمل فيه كما عالج ولا يجلد عليه كما جلد ولا يصبر كما صبر فهو يستحق من هذا القبيل الثناء والشكر بدل الاحتقار وسوء الذكر

وسيكون يوم فرح وسرور عليه متى انقشعت هذه الغمامة السوداء عن وجوه الطائفة وتبين الخيط الابيض من الاسود وقد كذبوا عليه انه اجتمع بابن سرجيوس وعشمه وأمله بالعود الى مركزه الذي فقده برعونته وتصرفاته الهوجاء وانما الرجل معجون من سوائل الشرور والغرور وقد سنحت له الفرصة ليصب جامات شره وأذاه وضره على هامة الانبا يوانس الذي يحسبه العدو الالد له ...

ويقول المتحيزون لنيافة الانبا يوانس كان يجب على مطران اسيوط حسماً للنزاع والفشل والانقسام في الطائفة أن يعلن رسمياً عدم قبوله لمركز الوكالة ويوقع على انتخاب زميله فعلى هؤلاء المقترحين أجاوب وبالانابة عنه أقول ان اضمنوا له الراحة في مركزه ان فعل ذلك لا أقول لكم الاقامة فيه وهم لا يجهلون ويعلمون الاهانة التي ألحقها ناس اسيوط بمولاه وكان عابر سبيل وكان ضيفاً عليهم ولم يستقر في كرسي ضيافتهم بعد والضيف تجب له الكرامة واذا فشلتم من ضمان الراحة له أو الاقامة في مركزه على الاقل فأنا أريكم طريقاً آخر ان توفقتم له وأنتم متوفقون « وباب العلم واسع والفتاوي لديكم متوافرة » وأنا في وسعي أن أنزله عن رأيه وأحضر لكم توقيعه ان سيرتموه في الطريق الذي سأريكموه ولكن قبل كل شيء كونوا على ثقة انه لا يكون العلاج الذي يوحد كلمة الاحزاب فلا يزال بهذا العلاج حزبه يقوم ويقعد

أما ذلك الطريق الذي أريه لكم فهو ان تخرقوا قوانين كنيستكم وتنقلوا الانبا مكاريوس الى أبرشية دمنهو المترملة اخرقوا القانون الـ ١٥ من الـ ٢٠ قانوناً الثابتة للمجمع المسكوني الاول بنيقيا الذي يقول « انه من تلقاء كثرة السجس والتشويش والمشاجرات الحادثة لقد استبان لنا ان نرفع بالكلية تلك العادة الواقعة بخلاف القانون « الـ ٣٥ للرسل » في بعض النواحي وهو انه لا ينتقل من مدينة الى

مدينة اسقف كان أو قس أو شماس . فأي من باشر أمراً مثل هـذا بعد حدوث حد المجمع المقدس العظيم أو أسلم ذاته وتورط في أمر مثل هذا فليكن فعله هذا غير ثابت على كل حال وليرجع مقيماً في تلك الـكنيسة التي سيم فيها ذلك الاسقف أو القس)

ودوسوا على القانون الـ ٢ لمجمع القسطنطينية المسكوني الثاني الذي يقول (الاساقفة الذين يتعدون حدود ابرشياتهم لا يتطاولون جائلين على الـكنائس التي بخارج عن حدودهم ولا يشوشون الـكنائس . . . وأما اساقفة من غير أن يكونوا مدعوين فلا يتعدون خارجاً عن ابرشياتهم لأجل شرطونية أو لأجل مصالح أخرى كنسية مع حفظ القانون السابق تدوينه في باب الابرشيات) يشير بذلك الى القانونين السالفين والى القانون الـ ٣ لمجمع سرديكا

وتعدوا القانون الـ ٨ لمجمع افسس المسكوني الثالث الذي يقول (فلا يجوز لأحد من الأساقفة الوقورين أن يمد يده الى ابرشية غير ابرشية ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رياسة أسلافه . وان كان أحد وضع يداً واغتصب ابرشية وجعلها في دائرته فليردها لكي لا تخالف قوانين الآباء « المذكورة سلفاً » ولا يدخل دخان سلطة عالمية تحت برقع الخدمة الـكهنوتية ولا نضيع الحرية رويداً رويداً ونحن غافلون . الحرية التي منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكوني المقدس ان تحفظ لـكل ابرشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ البدء سالمة صحيحة وفقاً للعادة المرعية منذ القديم بأن كل متروبوليت له الرخصة أن يحصل على المساواة في الأعمال لصيانته . وان برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكوني المقدس أن يكون ذلك لاغياً)

راجع حاشية وجه ٢٧٦ وحاشية وجه ٥٠٤ من الجزء الأول لتاريخ الانشقاق

وانظر مدح المؤرخ للكنيسة القبطية لشدة تمسكها بحرفية نصوص هذه القوانين في عدم اختيارها أحد رؤساء الكهنة لكرسي البطريركية . فهل تستمر متمسكة بذلك أو تخرم ؟ العلم عند الله وحده

وقد تكرر الاستشهاد في جريدة الاهرام بما ورد في كتاب الجوهرة النفيسة فأورد أحدهم منه أقوالا بخصوص رسامة الاسقف بمعنى وأورد غيره تلك الاقوال بمعنى آخر وأنا أقول للاثنين ان الاستشهاد بهذا الكتاب باطل وباطل بالمرة لأمرين أحدهما ان تلك الأقوال غير مسندة على نص كتابي أو نص قانون رسولي أو مجمعي ورأي مؤلف بلاهما لا يقوم مقامهما والثاني ان هذا الكتاب محشو من الفريات والخرافات التي تسد الكنيسة آذانها لدى سماعها يستحق عليها كاتبها تقطيع أصابعه وعليه فلا يجب أن يحسن السكوت عنده ولا يصح التعويل على أقواله الخرافية والأخذ بها والوقوف عندها. وهل يمتنع الأول والثاني بقطع خط الرجعة عليهما أو يستعملان المماحكة معي ويضطرانني الى التفتيش والتنبيش في تلك الرمة التي ان فعلت بها ذلك أفسدت هواء الجو بنتانتها وكراهة رائحتها فهما وشأنهما وطبعة مرقس افندي جرجس أشرت على ما في النسخة التي أخذ عنها المطبوعة بمعرفة المرحوم اقلاديوس بك لبيب من الأغلاط و « البلاوي » ونصحته أن يتجاوزها فلم يفعل الا في بعضها

واجيب على تشبث رؤساء الاكليروس بقرارهم بأن ليس كل قرار صدر من هيئة مثل هيئتهم تنفذ فقد أقر الجانب الأعظم من المجمع القسطنطيني على تعيين الثاولوغس لكرسي العاصمة ولما حصل شغب نزلوا عن رأيهم وعينوا بدله نكتاريوس ومقاومة بفنوتيوس اسقف الصعيد لقرار مجمع نيقيا أشهر من « قفا نبكي » والقد أرغمهم على الغائه حالا

توارى سعد وبقي صدى صوت سعد

لا يعرف المرء الفتى الا متى مات فيعطي حقه تحت الثرى

لم تجهل الأمة المصرية على اختلاف أجناسها ومذاهبها وأديانها وأحزابها مقدرة هذا الرجل العظيم والرجال العظام ممن بهم الطبيعة على البشر على غير مألوفها بل على شواذ منها ونوادرها وفلتاتها وهذا سعد كان أحدهم ان لم يكن أقدرهم وأفوقهم بحسب الظروف التي عاش فيها والصدمات التي اعترضته والعقبات الكؤودة التي وقفت في سبيله فان بكته الأمة المصرية فان بكاءها يعبر عن شعورها ومعرفتها بالمزايا التي حصلت عليها بواسطة جهوده وأتعابه وعن ضياع آمالها بفقده اذ كانت ترجو الربح الكثير والسعي الى الامام بواسطة وجوده فخسرت خسارة لا تعوض فهي تبكي لذلك ولسان حالها يندب قائلا

هيهات ان جاد الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

والأمة القبطية في مقدمة الأمم المصرية التي اعترفت للرجل بمعروفه لانه كان يرفق برجالها ويدفع عنهم الويل فهو وان كان مسلماً وتربية الجامع الازهر الا انه كان نزيهاً شريف الطبع والمبدأ يضع الشيء في محل يليق له ويعطي لكل واحد حقه لا يفرق بينه ان كان نصرانياً وبين غيره ان كان يهودياً أو مسلماً وقد خدم أمته خدمة منزهة عن كل غرض واعتبر كل افرادها بنيه واولاده ولكونه لم ينسل عقباً فلم يطمع في شيء من حطام الدنيا قانعاً برزقه الحلال فهذا هو الرجل الذي تغنت به الحكماء والفلاسفة وقالت عنه انه يوجد من الرجال من يعمل لغيره لا لنفسه

وكان المنتظر من اخصامه ارباب الاقلام من الانكليز ان يظهروا الشماتة

بموته ويطعنوا بسياسته ولكنهم فعلوا العكس اذ قدروا الرجل حق قدره واعترفوا بمقدرته وعظموا شأنه وأجلوه واندفعت أقلامهم تسح سيول ومداد الشهادة له وهذا أعظم برهان على عقلية أولئك القوم فان العاقل من شهد لعدوه وما أحرى هؤلاء الناعون والراثون أن يتشبهوا بداود حين سمع بمصرع عدوه ورثاه ويقولوا رثاءه وهو

(رثاء الملك داود للملك شاول وابنه يوناثان . عن رواية كرسي بيت داود)

على شوامخ اسرائيل مطلول دم الجلال وظبي الحسن مقتول
كيف الجبابرة الأبطال قد سقطوا يا قوم ردوا جواباً أخبروا قولوا
في جت لا تخبروا ولا تجعلوا بشـ ـراً في اشقلون وعنهما ميلوا
لا تشمتن بنات الغلف احترسوا لا لا تقولوا لهن مات شاول
جبال جلبوع لا طل ولا مطر به ترابك بعد اليوم مبلول
غدا عليك مجن الصيد مطرحاً مجن شاول عنه السيف مفصول
الى الوراء قوس يوناثان ما رجعت ولا حسام أبيه وهو مسلول
فهذه بدم القتل مخضبة وذا بشحم الكماة الغر مصقول
شاول والفرد يوناثان قد سقطا هذا صريع ومعه ذاك مجدول
هما الحبيبان والحلوان ما افترقا في الموت بل بأبيه الابن موصول
كلاهما تتحدى النسر خفته لديه عزم الأسود الصيد محلول
يا بنت يعقوب نوحي اليوم باكية ملكاً له من اثيل المجد اكاليل
لولاه ما قرمز زاه عليك بدا ولا حلي ولا وشي وتجميل
كيف الجبابرة الأبطال قد سقطوا في الحرب ردوا جواباً اخبروا قولوا

على الشوامخ يوناثان مطرح مكبل بقيود الموت مغلول
ويلاه ان فؤادي آه وا أسفي على أخي الحلو يوناثان متبول
اني تضايقت جداً في نداك وفي الـ أفواه حزني عليك اليوم منقول
لهفي عليك لحلواً كنت لي أبداً وليس بعدك غير المر مقبول
قد كان حبك لي بالحق أعجب من حب النساء وقلبي فيه مشغول
كيف الجبابرة الأبطال قد سقطوا وآلة الحرب بادت اخبروا قولوا

اديسون وعقيدته

كان المعروف عن اديسون المخترع الاميركي الشهير أنه من علماء المادة الذين لا يؤمنون بالخلود ولا يعتقدون أن في الوجود شيئاً خلاف المادة . وقد جرى له في أوائل عهد شهرته عدة مناقشات مع رجال الدين وغيرهم فكان يسفه آراءهم ويسخر بمعتقدهم زاعماً أن العالم يبدأ بالمادة وينتهي بالمادة . وجرى له مرة جدال طويل مع أحد كبار رجال الدين قال له فيه محتداً : ماذا تعنون بالنفس؟ أتعنون بها الدماغ ؟ ان كان ذلك ما تعنون فليس ثمة برهان على خلودها اكثر من البرهان على ان « اسطوانة » الفونوغراف خالدة .

هذا ما كان يقوله شيخ المخترعين في ذلك العهد وأما اليوم فان الشيخوخة التي قد أدنته من عتبة الابدية قد أزاحت عن عينيه الحجاب الذي كان مسدولا عليهما فأصبح اديسون اليوم من المؤمنين بالخلود

والظاهر ان الاميركيين يعدون هذا الحادث امراً ذا شأن فقد خاضت فيه جرائدهم على اختلاف نزعاتها وكتبت فيه الفصول الطوال بعنوانات ضخمة واليك ما قالته احدى المجلات الكبيرة :—

لقد أصبح الفيلسوف اديسون من القائلين بخلود النفس وصار يعتقد ان من واجب علماء الدين أن يبثوا في الناس الفضائل والاداب الصحيحة بدلا من العقائد المذهبية الطائفية . وقد كان هذا الرجل منذ بضع سنوات ملحداً ينكر وجود الخالق ولا يؤمن بصحة الخلود . وكان يقول ان النفس اسم لغير مسمى وان العلم ينكر صحة الخلود اذ ليس في الوجود شيء يستحق الاهتمام أو له كيان حقيقي غير المادة . والدماغ نفسه ليس سوى كتلة من المادة تعمل كآلة « ميكانيكية » . أما اليوم فقد أقلع اديسون عن ذلك الاعتقاد وصار يؤمن بالخلود . الا انه لم يتغير هـذا التغير فجأة بل اتجه نحوه تدريجاً وصار يقول ان الايمان بالخلود يتوقف على المعنى الذي يراد من لفظة (النفس) . فاذا عنينا بها العقل فلا شك ان البراهين على صحة خلودها أكثر من البراهين على عدم ذلك

وليس انقلاب اديسون من رجل ملحد الى رجل مؤمن أمراً غريباً وقد اصبح على مقربة من نهاية مرحلته الارضية وصار يلمح شبح الابدية أمامه . وفي الواقع ان الكثيرين من كبار الملحدين الذين قضوا سواد عمرهم في انكار الخالق والخلود انقلبوا وهم على أهبة الرحيل من هذا العالم الى مؤمنين يعتقدون حقيقة الخلود . والمجال يضيق عن تعداد أسمائهم . وانما نقول ان ظهور اديسون وهو على عتبة الثمانين من العمر بمظهر المؤمن المعتقد يؤيد نظرية القائلين بان الايمان بالخلود غريزي في النفس مهما حاول المرء ان يستأصله منها او ان يقنع نفسه بعكس ذلك فالمرء يولد وفي نفسه عقيدة الخلود . فاذا حاول انكارها أو استئصالها فلعوامل خارجية لا يستطيع ان يقنع بصحتها كما انه لا يستطيع ان يقنع نفسه بحقيقة الخلود اقناعا علمياً

ويقول المستر اديسون ان البراهين على الخلود ليست قاطعة كالبراهين العلمية أو الرياضية مثلا لان هذه انما تتناول المادة واما النفس فلا تقع تحتها اي ان النفس

ليست شيئاً يمكن تحليله في المعمل الكيماوي أو وزنه أو تصويره أو تسجيل وجوده بآلة ميكانيكية . ومع ذلك فالقول بخلود النفس ليس من الاقوال التي ينكرها العلم أو يرى تصديقها متعذراً . واذا كانت شجرة (السكويا) تعيش أربعة آلاف سنة كما قد أثبت العلم فليس ما يمنعها من ان تعيش اكثر من ذلك اذا توافرت لها أسباب الحياة نعم ان الانسان قلما يجاوز المائة ولكن اذا توافرت له وسائل الحياة عاش اكثر . ولا شك ان الذي يفنى منه انما هو هذه المادة التي نسميها جسداً . ولكن الجسد ليس سوى غلاف النفس . والنفس خالدة لا محالة الا اذا أنكرنا وجودها بتاتاً .

واذا فرضنا ان وسائل اطالة الحياة توافرت للمرء فعاش طويلا جداً فقد يطرأ على جسمه شيء من التغيير . وأما النفس فلا تتغير . وعدم التغير يجب أن يكون خاصة من خواص الخلود .

ويقول المستر اديسون أيضاً ان علماء الدين يحسنون صنعاً لو وجهوا هممهم الى جمع الأدلة على خلود النفس اكثر من توجيهه الى اثبات المعتقدات الطائفية ، فاساس الدين القويم هو الايمان بوجود الخالق وبخلود النفس . واذا قصر علماء الدين جهودهم على اثبات هذه الحقيقة أحسنوا الى العالم أجمع لأن سواد الناس يميلون الى تحقيق عقيدة الخلود ويخشون أن تكون الحياة على هذه الأرض كل ما في الوجود .

ولا شك ان الحياة اذ جردناها من فكرة الخلود تصبح عبئاً ثقيلا على الانسان بل تصبح كالسراب الخادع يحسبها الانسان شيئاً وهي ليست بشيء لانه اذا انتفى الخلود فأي فرق بين المرء وأدنى أنواع النبات الذي تطؤه الاقدام فييبس ؟ فالنفس اذاً تشتاق الى اثبات الخلود وترحب بكل برهان يثبته مهما يكن ضعيفاً . وفضلا

عن ذلك فان آداب البشر وعلاقاتهم بعضهم ببعض تتوقف على صحة الخلود لانه اذا انتفى الخلود أصبح الناس كالاسماك يبتلع كبيرها صغيرها ولا يجد ما يردعه عن ارتكاب أكبر الجرائم في سبيل مصلحته الذاتية. ولكن فكرة الخلود (وما يترتب عليها من العقاب والثواب) زاجر عظيم للانسان تردعه عن كثير من الشرور

(عن السياسة الاسبوعية)

سارقة الازهار

كان الكونت اسكابرلي يسكن منزلا صغيراً أنيقاً وقد أحاطت به حديقة غناء غرسها بيديه وقد حوت من الورد والياسمين والنرجس والزنبق وأنواع الرياحين والازهار العطرية شيء لا يوصف وكان يتولى غرسها وارواتها بنفسه وكان يحرص على محتوياتها حرص البخيل على درهمه ولم يكن آمناً عليهامن خادم يسرقها أو بستاني يعبث بها ومع ذلك لم يكن يشعر بالتعب وهو حري بمن كان مثله في سن السابعة والستين من عمره . كان من عادة الكونت أن ينزل مبكراً الى حديقته يستنشق نسيم الصباح العليل فكنت تراه متجولا فيها يتفقدها ويمهد لها سبيل النمو فيأخذ باقلاع العوسج والعليق ويطرحه خارجاً مع بقية ما يجده من الاوراق الجافة الذاهبة ضحية ظلم الطبيعة . . .

ففي صباح يوم من أيام الربيع الجميلة نزل الى حديقته كجاري عادته وأخذ يتفقد أزهارها فعرته دهشة شديدة عند ما وجد أنه قد سرق معظمها ووقف حائراً وقد جرت دمعة كبيرة على خده وقال متأوها :

أتسرقين أيتها الازهار المحبوبة وأنا ساهر عليك ؟ ؟ ؟ أهكذا تعتدي عليك

يد اللص بقسوة ؟ أيتلذذ بك وأنا اشفق ان أجني زهرة واحدة منك ؟ ؟ ؟ ؟ ويلاه يا ربي كم أنا حزين ومتألم لمفارقتي أزهاري المحبوبة . . ويل لك أيها اللص الجريء سوف اذيقك كأساً مريرة على ما جنت يداك . ثم رجع الى غرفته حزيناً كئيباً . . وقال في نفسه لا راقبن السارق مراقبة شديدة وويل له مني ان أوقعه سوء حظه في قبضة يدي

ففي صباح ثاني يوم نزل الكونت الى حديقته مبكراً جداً خلافاً لعادته وأخذ يراقب الصباح بيقظة شديدة وبعد برهة وجيزة شعر أن يداً أزاحت أغصان الاشجار وللحال اختفى وراء كرمة وأقام ينظر من خلال أوراقها بما سيكون ولكنه رأى مشهداً لطيفا أخذ بمجامع قلبه . . . ذلك أنه رأى فتاة في السادسة عشرة من عمرها ترتدي ثوباً حقيراً غيرت لونه الايام وضاحة الجبين موردة الخدين ممشوقة القامة تدل ملامحها على الطهر والعفاف فلبث في مكانه ليرى ماسوف تعمله هذه الفتاة فتقدمت بكل حذر واخذت تجمع من الازهار والرياحين ما يروق في عينيها وتضعها في سلة بكل هدوء وجسارة وبعد ان فرغت من عملها أرادت الذهاب.. فبرزلها الكونت وقال لها بصوت لا يخلو من الخشونة قفي ايتها الفتاة فلي حديث معك ؟ فذعرت المسكينة لهذه المباغتة وتراجعت الى الوراء وقد احمر محياها احمراراً حاكى ما كانت تحمله من الورد وصغرت نفسها في عينيها لعلمها انها صارت من زمرة الاشقياء فركعت عند قدمي الكونت وقالت بصوت تخنقه العبرات :

سيدي . . ارحمني . . اشفق . . علي . . فقال لها الكونت من انت ايتها الحسناء وكيف تجرأين على الدخول الى بستاني وسرقة أزهاري .. اصدقيني الخبر والا فالشرطي على قيد خطوتين من هنا . . .

آه ما اشقاني . مولاي ان رحمتك وحنانك يحولان دون مناداة الشرطي

فاشفق علي يا سيدي فأنا فتاة قروية ساكنة في جوارك وان أبي وأمي مريضان وانا معيلهما الوحيد فحملني الطمع برحمتك الى سرقة ازهارك لبيعها لاهل الثراء والبذخ ولاشتري بثمنها خبزاً اسد به رمق والدي المريضين

ما اسمك أيتها الفتاة ومن هو والدك ؟

أنا أدعى روز ولا أعرف لي أبا ولا أما وانما جأت الى كوخ جورج القروي وامرأته اللذين تبنياني ...

فشعر الكونت في هذه اللحظة كأن سلكا كهربائياً قد مسه لانه قد خطر في باله أمر هائل جداً ومحزن ! ! !

— كم عمرك الآن أيتها الفتاة

— أربع عشرة سنة

— ألم يقص عليك جورج شيئاً آخر عن والديك الحقيقيين ؟

— نعم قال لي أن والدي توفي في لشبونه قتيلا من يد عدو له كان عاشقاً لأمي بعد مبارزة هائلة وقد توفيت أمي أيضاً من يد هذا العدو الدنيء لانها لم تكن تحبه ولم ترضخ لغرامه وكنت اذ ذاك في الرابعة من عمري فأخذني جارنا الطيب القلب المسيو جورج وبما انه لم يكن له أولاد فقد تبناني وهكذا ربيت في أحضان البؤس والشقاء

— أهذا كل ما أوقفك عليه جورج ؟ ؟ وهل عندك برهان على ما ذكرته لي . ؟ وهل ولدت حقيقة في لشبونه ؟

— نعم هذا جميع ما قاله لي وأما البرهان على اني ولدت في لشبونه فهذه الذخيرة تكشف لك الحقيقة قالت هذا وأخرجت من ثنايا صدرها سلسلة ذهبية في طرفها ذخيرة من الذهب فأخذها وفتحها فرأى فيها قطعة ورق مكتوب عليها :

تذكار مولد ابنتنا روز من أبويها هنري سكابرلي وكرستين اوغستان
لشبونه ٢٥ مارس سنة ١٧٤٢

فما كاد يتم قراءة آخر كلمة حتى صرخ بصوت ملؤه السرور

تعالي الى صدري يا روز ... يا ابنة أخي الحبيب ... الي أنا عمك الكونت اميل سكابرلي ... انه لم يبق من عائلتي الا اياك فشكراً لك يا الله على انعامك فهذه الضالة التي كنت أنشدها من زمن بعيد . قال هذا وخنقته العبرات ...

عماه شكراً لله ولهذه الازهار التي قادتني اليك أتصفح عني الآن ... اني لن أرجع الى السرقة أبداً

— روز ان الله قد كتب لك السعادة فرفعك من حضيض الذل الى أوج السعادة فأنت أغني فتاة في هذه المقاطعة ... هيا معي الى بيت المحسنين اليك فنأتي بجورج وزوجته . . فقامت من فورها فذهبت معه وأخذا معهما بعض الطعام لاسعافهما وكان النهار قد انتصف ولما وصلا الى هناك وجدا الشيخ وزوجته ينتظران رجوع روز والجوع يكاد يقتلهما فما أبصراهما حتى صاحا صيحة السرور وقالا كونت اسكابرلي انت هنا ونموت جوعاً ؟ فطيب خاطرهما واخبرهما بما تم له من لقاء ابنة اخيه فدهشا لهذا النبأ الجديد وسرا سروراً عظيماً

وثاني يوم امر الكونت ببناء منزل لهما في حديقته وبعد شهرين من هذا اللقاء زفت روز الى احد العظماء وكان عرسها بالغاً حده وكانت كلما نزلت الى الحديقة مع زوجها تتذكر فضل تلك الازهار وتبتسم لها ابتسامة شكر وامتنان

معربة بتصرف

اثناسيوس بقطراني

يمتد الاشتراك في كتاب المجموع الصفوي بعشرة قروش صاغ الى دسمبر